الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصّوف –ميلة –

معهد الآداب واللغات السنة الثانية ليسانس شعبة دراسات لغوية قسم اللغة والأدب العربي

محاضرة بعنوان:

مدخل إلى المدارس العلمية الكبرى الأكثر هيمنة على اللسانيات العامة

تقديم: د/قبايلي عبد الغاني

إنّ هذه المحاضرة الموجزة والمقتضب ستقوم على حصر أهم الرؤى والملاحظات التي سجلها العلماء والنظريات التي اقترحوها أو المناهج الفرعية التي صقلوها في ميدان البحوث اللسانية على مدى قرن من الزمن -على أقلّ تقدير- وفي مؤسسات أكاديمية متعدّدة ومناسبات علمية متفرقة ، أو من خلال مصنفات لسانية أثبتوها في مؤلفاتهم المتميزة أو مقالاتهم المركزة وأعمالهم العلمية بشكل عام.

وهذا الحصر والتصنيف سينتج من خلال المسح العلمي الموضوعي الدقيق الذي يجعلنا نردّ كل ما سبق إلى السياقات العلمية والمعرفية المناسبة، ومن هنا يمكن أن نستنتج ونأصّل الأنماط المشتركة والمطردة بين العلماء والباحثين وقياس مدى تأثير بعضهم على بعض من جهة، وتأثيرهم أجمعين على مجمل الدرس اللساني ودفعه نحو الاستمرارية والتطوّر.

تقدير ثلاثةَ تصنيفات أساسية، وهي:

1- التصنيف بناء على التصورات الكبرى للسانيات العامة.

2- التصنيف بناء على الخلفيات المعرفية والتوجهات العلمية.

3- التصنيف بناء على التسلسل الزمني

التصنيف بناءً على التصوّرات الكبرى للسانيات العامة

ويتفرع منه ثلاثةُ أقسام أساسة، وهي:

1- التصوّر البنوي (البنيوي)

2- التصوّر التوليدي التحويلي

3- التصوّر التداولي.

التصوّر البنوي:

ويتشكل أساساً من أعمال فرديناند دو سوسير وروافده بدءاً من سنة 1916م. والذين يؤكدون بقوة على مبدإ البنية في التحليل والتقليل من جموح التصوّر التاريخي الصِرف للسان.

أمّا روافده الأساسيون فهم كلّ من:

نيكولاي تروباتسكوي (1939م)
رومان ياكبسون (1982م)
كلود لفي ستروس (أكتوبر 2009م)

التصوّر التوليدي التحويلي

ويتشكل أساساً من أعمال نوام تشومسكي (ديسمبر 1928م) وتلامذته ونقاده والباحثين المتأثرين به بدءاً من سنة 1957م.

وهو تصوّر يقوم على مبدأ التحليل والتفسير بدلا من الإجراء الوصفي للألسن، وهي فرضية قوية جدًّا عمِل أصحابُها دون كلل أو ملل على تقديم صورة شاملة عن بنية اللسان وعلاقته بالعقل والفكر.

أمّا روافده الأساسيون فهم كل من:

الدلاليون التوليديون والتصنيفيون.

الفنولوجيون التوليديون

المعجميون التوليديون

التصوّر التداولي:

ويتشكل أساساً من أعمال شارل بالي وبعض زملائه بدءاً من 1909م. والذين يركزون على دراسة اللسان أثناء استعماله ونشاطه.

أمّا روافده الأساسيون فهم على شقّين:

مؤسسي نظرية التلفظ وهم ياكبسون وبن فنست وكيليولي

ومؤسسي نظرية أفعال الكلام مع جون أوستين وزملائه، الذين ركزوا على تحويل اللسان إلى مستوى الإنجاز والممارسة والفعل كما هو واضح في كتاب أوستين تحت عنوان: كيف ننجز الأشياء بالكلمات How to do thing with words. 1962

التصنيف الثاني

2- التصنيف بناء على الخلفيات المعرفية والتوجهات العلمية.

وبشكل مبدئ يقدّم لنا هذا التصنيف مدرستين أساسيتين:

1- المدارس اللسانية الأوروبية.

2- المدارس اللسانية الأمريكية.

1- المدارس اللسانية الأوروبية.

ملج- الاستفادة من اللسانيات التاريخية التي ظهرت في ق19 على يد اللساني الألماني فرانز بوب، وبخاصة الملاحظات التي دونها في مصنفه الشهير: نظام التصريف للغة السنسكريتية مقارنة قارنة مع اللغات الاغريقية واللاتينية والفارسية والجرمانية " عام 1816. فقد كان إعلانا عن ميلاد النحو المقارن، رفقة الأخوة شليجل وجريم وشليشر. فسمح بإيجاد القرابة بين اللغة السنسكريتية المقدسة للهند القديمة وأغلب اللغات الأوروبية القديمة والحديثة. وأخذت الدراسات اللسانية هذا المنحى حتى مع "النحويين الجدد" في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الذين تطلعوا إلى تجديد النحو المقارن. بحيث دعوا إلى تفسير التغيرات الحاصلة داخل اللغة وعدم الوقوف عند وصفها، ورؤوا أن الأسباب الوحيدة القابلة للمراجعة هي البحث عن نشاط الفاعلين المتكلمين، وفضلوا تحديد مسافة لدراسة التغيرات اللغوية. وكما هو واضح فإن طبيعة اللسانيات التاريخية وموضوعاتها لم تسمح بمعالجة موضوع الخطاب معالجة ذات صلة بجوهر اللغة. فالتحليل التعاقبي الذي طبع المنهج التاريخي في الدراسات اللغوية فرض على فردينان دي سوسير. أن يؤسس معالم اللسانيات البنيوية، ويرسم خطابا ابستمولوجيا يتعامل مع نظام اللغة بمنطق علمي جديد لا يخفي أصوله الفلسفية والعلمية (علم الاقتصاد / علم الاجتماع. الخ).

2- الاهتمام بالتحليل النظري والتجريدي للألسن البشرية.

3- البناء الصارم على مفهومي البنية والوظيفة.

4- الانطلاق من أفكار والأسس التي وضعها رائد البنوي فرديناند دو سوسير.

5- الانطلاق من نتائج بحوث حلقة براغ وبخاصة أعمال ياكبسون وتروباتسكوي.

6- الانطلاق من العلوم اللغوية لبناء نظرية لسانية.

2- المدارس اللسانية الأمريكية.

1- وبالنظر إلى طبيعة المجتمع الأمريكي المختلط وغير المتجانس من حيث الإثنيات والأعراق واللغات، وبالتالي فقد كان الحس العام يتجه إلى الأنثروبولوجيا التي أصبحت مركز اهتمام العلوم الإنسانية.

2- كما كان للأوربيين لغة هندية تمثل الأصل المشترك لكل اللغات، كانت أيضا للأمريكيين لغة هندية أمريكية تعرضت لكثير من الاضطهاد والنسيان، ولحد الآن مازال العلماء يحاولون تجميع فروعها في عائلات عالية المستوى، وهو الأمر الذي لم يتم إلى حد الآن مما جعل فروع كثيرة منسية والأخرى منقرضة.

3- تنطلق اللسانيات الأمريكية في مجملها من الاعمال الجليلة التي قدمها اللساني والأنثروبولوجي الأمريكي إدوارد سابير (1884- 1939م) وتلامذته وعلى رأسهم بواز، حيث انطلقوا في أوصافهم للأحداث اللغوية بعيدًا عن أفكار سوسير –على الأقل في البداية- بالرغم من انهم متفقين معه في نقاط كثيرة من أهمها فكرة النماذج اللغوية التي تقترب كثيرًا إلى التمييز العلمي الصارم بين اللسان والكلام عند سوسير.

4- التأسيس على أفكار ومنطلقات ليونارد بلومفيلد 1949 الذي يكتسي في صلب الدراسات اللسانية الأمريكية الأهمية نفسها التي يكتسيها سوسير في أوروبا، وبخاصة بعد نشر كتابه «اللغة 1924» الذي يعدّ إنجيل البنيوية الأمريكية. حيث التزم بلومفيلد بالمنهج البنوي الوصفي ولكن بطريقته الخاصة التي أصبحت تدل عليه.

5- التقليل من جموح البحوث اللغوية النظرية والتجريدية والاهتمام أكثر بتفسير الظاهر اللغوية قصد صقل الطرائق اليسيرة والسريعة والفعالة في تعليم اللغات.

خلاصة هذا التصنيف

نستنتج بأن هذه المدارس البنوية التقليدية قد مرّت عبر ثلاثة محطات أساسية، وهي:

1- **المرحلة الأولى:** ويمثلها سوسير ومجمل الدراسات اللسانية الأوروبية الذين اهتموا باللسان لا بالكلام واستخلاص مختلف العلاقات الداخلية له.

2- **المرحلة الثانية:** ويمثلها بلومفيلد وأتباعُه الأوفياء وقد اهتموا بالكلام لا باللسان، بناءً على الجانب الشكلي له مع تأجيل مباحث المعنى.

3- **المرحلة الثالثة:** وهي البنوية التي نادى بها البلومفيلدون الجدد وعلى رأسهم زيولينخ هاريس وكنث بايك الذين حاولوا البناء على معيار الوظيفة أو المعنى من جديد في اللسانيات.

ومن خلال التصنيفين السابقين يتميز التصنيف الثالث والأخير، وهو التصنيف بناء على التسلسل الزمني لمختلف المدارس.

والذي يعتمد أساسًا السمة البنوية في مختلف الأعمال والنظريات التى شيدت معالم اللسانيات الحديثة. وهي على فرعين:

الفرع البنوي الأوروبي

والفرع البنوي الأمريكي.

أ- البنوية الأوروبية:

اشتهرت بدءًا في الثلاثينات القرن الماضي والتي أسس دعائمها فردينان دو سوسير وامتدت إلى المدراس الآتية:

1- السوسيرية نسبة إلى سوسير. بدءًا من 1916

2- مدرسة جنيف، بدءًا من سنة 1916م

3- مدرسة موسكو بدءًا من 1915م

4- حلقة براغ بدءًا من أكتوبر 1926م.

5- المدرسة الوظيفية الفرنسية بدءًا من 1932م.

6- المدرسة الغلوسيمياتية بدءًا من 1933م.

7- مدرسة لندن، بدءًا من 1940م

8- مدرسة المنظور الوظيفي بدءًا من 1930م.

9- اللسانيون الأحرار أو المستقلون: بدءًا من 1945م

ب- البنوية الأمريكية:

وتشمل عددا هائلا من المدارس منها:

1- المدرسة النسبية اللغوية لسابير وبن يامين والف

2- المدرسة البهافيورية السلوكية لبلومفيلد ليونارد

3- المدرسة التوزيعية لزيولينخ هاريس وتشالرز هوكات.

4- المدرسة الخانية Tegmémique لكنث بايك.

5- مدرسة النحو المقولي grammaire catégoriel لبارل هيلل

6- مدرسة النحو التنضيدي grammaire stratification elle سيدني لامب

7- المدرسة التوليدية التحويلية، لتشومسكي. بدءًا من سنة 1956 – 1957م.

بالنسبة للمدرسة التوليدية التحويلية

فقد تفرعت بدورها إلى نماذج عديد، ومنها:

1- النموذج ما قبل المعيار 1957

2- النموذج المعيار لسنة 1965م، théorie standard

3- النموذج المعيار الموسع، théorie standard étendue لسنة 1972م.

4- نظرية الربط والعمل t, de liage et gouvernement لسنة 1981م.

5- نظرية المبادئ والوسائط t, des principes et des paramètres لسنة 1986م.

6- نموذج البرنامج الأدنوي، le programme minimaliste لسنة 1995

كما تطورت إلى جانب هذه المدارس

مدرسة الدلاليات التوليدية ومدرسة الدلالة التصنيفية ما بين 1967 و1972م التي تزعمها كل من: مكاولي بوسطال ومكاولي ووالتر كوك وروس وتشيف وفليمور ، حيث أفرزت الاتجاهات الآتية:

1- فرضية النحو العلائقي التي اقترحها دافيد بلموتر.

2- فرضية النحو التركيبي المعمّم، التي اقترحها غازدار.

3- فرضية النحو المعجمي الوظيفي، التي اقترحتها بريزنن وكابلان.

وبالعودة إلى البنوية الأوروبية ففي البداية كانت السوسيرية

والتي تأسست على يد سوسير مباشرة من خلال ثلاثة محاضرات أساسية ألقاها في جامعة جنيف خلفا لجوزيف فيرتامير:

المحاضرة الأولى: التي ألقاها بين عامي (1906/ 1907م).

المحاضرة الثانية: لسنة (1908م).

والأخيرة: بين 1910 و1911م.

عكف طلبة سوسير الأكثر ادراكًا لاستثنائية وجدّة وعمق هذه الأطروحة، وتكوّنت في البداية رغبة شديدة عند كلّ من ألبيرت سيشهاي *1870/1947-* وشارل بالي (*1865/1947*) بمساعدة ليوبولد قوتي وأرملة سوسير (*Marie de Saussure*) حيث جمعوا كلّ ما أمكن الوصول إليه من الملاحظات التي سجلها طلبته والمخطوطات التي كانت في مكتبته الشخصية، فبعد المقارنة والتعديل والتصحيح والتأكد من عدم اسقاط أي فكرة نشرت في شكل كتاب بالتنسيق مع اللساني السويسري ألبيرت ردلينجر *1882/1978-* سنة **1916**م، عن دار نشر الفرنسية (بايوت/*Payot*).

سارت – بعد ذلك- أفكار هذا الكتاب في خطّين؛ يمثلّ الأوّل دفات هذا الكتاب الذي لم يحدث بعد نشره مباشرة أية أصداء تذكر، غير أنه بعد عودتها من أوروبا الشرقية – كما سنرى لاحقا- بروز بعض الكتابات النقدية، ليس على أفكار سوسير وإنما على الطريقة التي تم بها تقديمه، مثلما هو الحال في البداية عند روبيرت قودل 1984الذي أعاد النظر في حيثيات ما جاء في نصوص الطبعة الأولى بكتاب تحت عنوان: (النصوص المخطوطة للمحاضرات- والذي نشر سنة 1957م.

تبعه العام الهام والضخم لرودولف أنجلر 2003 الذي قدّم دراسة تحليلية بعنوان (محاضرات في اللسانيات العامة؛ دراسة نقدية ثم جاءت المرحلة الأكثر أهمية وهي إعادة نشر الكتاب باللغة الإيطالية مع تيلو دومورو 2017 سنة 1968م تحت عنوان والمترجمة إلى اللغة الفرنسية سنة 1972م، من لدن جان لويس كالفي حيث ذيّل هذا الكتاب بتسجيل أكثر من 304 تعليقا أي من ص404 إلى 477) والتي تعد من أكثر الأعمال تدقيقا وتنقيبا وتحليلا لشخصية سوسير كما رآها طلبته.

وترجم لأوّل مرّة مباشرة إلى اليابانية سنة 1928م، وإلى الألمانية سنة (1931م)، ثمّ إلى الروسية عام (1933م)، وإلى الإسبانية سنة (1945م)، والإنجليزية (1959م) والبولندية سنة (1961م)، والإيطالية سنة (1967م)، وإلى اللغة العربية سنة (1984م).

أهم المفاهيم التي قامت عليها السوسيرية

اللغة واللسان والكلام

الآنية والزمانية

العلامة اللغوية

اعتباطية العلامة

الثابت والمتحول

القيمة اللغوية

التركيبية والترابطية

الشكل والمادة

الخطية

....

أهم المصادر والمراجع للسوسيرية:

1- دراسة حول النظام البيدائي للصوائت في اللغات الهندو اوروبية، ليبزنخ 1878م.

2- حالة الجرّ المطلق في اللغة السنسكريتية، جنيف 1881م.

3- محاضرات في اللسانيات العامة جمع وتقديم؛ شارل بالي وألبيرت سيشهاي بايوت 1916م.

4- المصادر المخطوطة لرودولف انجلر

5- محاضرات في اللسانيات العامة تيلو دومورو 1968م

6- النصوص الجديدة لهرمان باريث 1994 جامعة هارفارد

7- نشريات كوماتسو 1998 بالاعتماد على كراسات أنجلر وقنستنطين.

8- في الجوهر المزدوج للغة سيمون بوكي ورودولف انجلر 2002م.

خاتمة:

نتوقف عند هذا الحد وسنكمل في الحلقة المقبلة بإذن الله تعالى باقي المدارس البنوي الأوربية من مدرسة جنيف والشكلانيين الروس وحلقة براغ والمدرسة الوظيفية الفرنسية والغلوسيماتية وومدرسة لندن، واللسانيين الأحرار مع غوستاف غيوم وإميل بنفنست ولوسيان تنيار.